

ملاح تعليمية الأصوات اللغوية في كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني

هاجر عباس^{1*}، أبو بكر حسيني²

¹ جامعة قاصدي مرباح ورقلة abbashadjabbas@gmail.com

² جامعة قاصدي مرباح ورقلة، hacinibakr@yahoo.fr

الاستلام: 2019/05/20 . تاريخ القبول: 2019/09/01 . تاريخ النشر: 2019/12/31

الملخص:

تزخر كتب التراث العربي بالعديد من القضايا والمسائل التعليمية التعليمية المختلفة في المجال اللغوي ، لذلك ستأتي هذه المقالة لتسلط الضوء على بعض الملاح من تعليمية الأصوات اللغوية التي تظهر جلية في ثانيا كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني . ومن هذا المنطلق كان للدراسة وجهان اثنان ، وجه يحمل الأصالة لأننا اخترنا كتابي الخصائص وسر الصناعة لابن جني فهذان الكتابان من كتب التراث الأصيلة ، ووجه يحمل الحداثة لأننا نتحدث عن مصطلح حديث النشأة في ظهوره وهو مصطلح التعليمية ، فكتب التراث اليوم تَعُجُّ بالقضايا التعليمية التي تُدرس اليوم في المؤسسات التعليمية ، لذا سنحاول في هذا المقام الإجابة عن السؤال الآتي: كيف تظهر ملاح تعليمية الأصوات اللغوية في كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني ؟ وما هي القضايا التعليمية التي يحويها الكتابان ؟ الكلمات المفتاحية: الملاح ، التعليمية ، الصوت اللغوي ، تعليمية الأصوات اللغوية

Educational features linguistic sounds in my book

Characteristics and the secret of the parsing industry of

Ibn Jinn

Abstract:

*هاجر عباس ، (: المؤلف المرسل) abbashadjabbas@gmail.com

The Arabic heritage books has many educational learning and issues varied in the linguistic field . This article has done to highlight some of linguistic sounds teaching ,occur in the folds of Iben Djenie books "khasais and sir sinaat el irab ". For this concept ,this study has two faces, one holds the authenticity since we have chosen the books of "Iben Djenie " khasais and sir sinaat el irab " because they are books heritage and authenticity the other face treats the modernism ,since we are talking about a new term in its appearance ,that is the expression : "educational" , the heritage books are rich of the educational issues which are taught today in the educational institutions .so, we will try in this article to answer the question : How do the linguistic sounds features occur in the books of " khasais and sir sinaat el irab " of Iben Djenie ? what are the educational issues contained in these books ?

Key words: The Occur, The Linguistic, The Sound Teaching, Linguistic Sounds Teaching.

المقدمة :

من يتابع قراءة كتابي الخصائص وسر صناعة الاعراب لابن جني يلاحظ ما تتوفر عليه من مسائل وقضايا متنوعة ومتعددة المجالات ، فالقارئ لو نظرَ إليها لوجدها تتوفر على محددات أكسبتها العديد من الميزات والسمات ، وهذه المحددات ، والتي تمثل الوجه التأسيسي ، يعتمد الكثير منها على ما توفرت عليه من قضايا لسانية وتعليمية في طرح الأفكار ، ثم الأقدمية التاريخية لتمييزها بالأصالة في سرد نصوصها ، ثم الأهمية الكبيرة لكتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني جعلتنا في هذا المقام نُمعنُ النظر فيها لنستخرج ما في ثناياها من مسائل شيقة ومفيدة والتي أكسبتها الدور الكبير والفعال في شهرتها وكثرة استخدامهما في عمليات التعليم والتعلم ، من هذا المنطلق أردنا ، في هذا الموضوع بالذات ، أن نبين كيف استفاد الدرس التعليمي من كتابي الخصائص وسر صناعة الاعراب لابن جني بصفتها محتوى معرفيا ، في تعليمية الأصوات اللغوية بما تحويه من قضايا ومسائل تعليمية وتعليمية في مجال علم الأصوات ، لكن قبل الشروع في مجريات البحث لا بأس أن نقف ولو في عجالة عند تعريف بعض المصطلحات والتي كانت على علاقة مباشرة بموضوع البحث .

-**اللامح** : جمع ملح وهي من الفعل الثلاثي (لَمَحَ) . يقول ابن منظور في لسانه : « لَمَحَ إليه يَلْمَحُ لَمَحاً وَلَمَحَ : اختلس النظر ، وقال بعضهم : لمح نظر وألمحه هو والأول أصح ، قال الأزهري : ألمحت المرأة من وجهها إلهاً إذا أمكنت من أن تُلْمَحَ [...] الجوهرى : لَمَحَهُ وَأَلْمَحَهُ إذا أبصره بنظر خفيف ، والاسم اللَّمَحَةُ »¹.

- مفهوم التعليمية:

- التعليمية لغة : لفظ مشتق من (التعليم) ، وقد لقي هذا الأخير الحظ الأوفر في المعاجم فعُرف بهذا عدة تعاريف ، كان من بينها ما جاء في لسان العرب : « علمته الشيء ففعلتم ، وليس التشديد ها هنا للتكثير [...] ويقال : أيضاً ، تعلّم في موضع أعلم ، وفي حديث الدجال : تعلموا أن ربكم ليس بأعور بمعنى اعلّموا ، وكذلك الحديث الآخر : تعلموا أنه ليس يرى أحد منكم ربّه حتى يموت ، كل هذا بمعنى اعلّموا »².

- التعليمية اصطلاحاً : لقد لقي مصطلح التعليمية إهتماماً بالغاً في الكتب وبين الباحثين والدارسين المهتمين بهذا المجال فكان لهذا المصطلح تعاريف عديدة وبوجهات نظر مختلفة³ ، فنجد من الباحثين من ركز في تعريفه على المعلم ومنهم من ركز على المتعلم ومنهم من ركز على المحتوى التعليمي ومنهم من ركز على مكونات المثلث الديداكتيكي وعلاقتها ببعضها البعض.

عرف "عبد المجيد عيساني" التعليمية فقال إنها : « علم يهتم بقضايا التدريس اللغوي شاملة غير مجزأة من حيث تحديد السياسة العامة للمعارف اللغوية وطبيعة تنظيمها وعلاقتها بالمعلمين والمتعلمين وبطرق اكتسابها وبكيفية تفعيلها والصعوبات المتوقعة إلى غير ذلك مما له صلة بهذه الدائرة الكبرى ، لذلك فالتعليمية ليست ما يجري داخل الصف فقط بل إن هذا العمل يعدّ عملاً متأخراً لكنه ضروري يسبق بأشياء »⁴.

كما قال "خالد لبصيص" إن التعليمية هي : « ترجمة للكلمة Didactique التي اشتقت من الكلمة اليونانية Didaktilos التي كانت تطلق على نوع من الشعر يتناول شرح معارف علمية أو تقنية (الشعر التعليمي) »⁵.

ويقابل " محمد الدريج " التعليمية بعلم التدريس فيقول في تعريفه لها : « يقصد بعلم التدريس الدراسة العلمية لطرق التدريس وتقنياته ولأشكال تنظيم مواقف التعلم التي يخضع لها التلميذ قصد بلوغ الأهداف المنشودة سواء على المستوى العقلي أو الوجداني أو الحسي- الحركي »⁶.

ومن جهة أخرى يمكن حصر موضوع التعليمية في دراسة آليات اكتساب وتبليغ المعارف المتعلقة بمجال معرفي معين ، فهي تمثل في آن واحد، تفكيراً وممارسة يقوم بها المدرس لمواجهة الصعوبات التي يلاقيها في تعليم مادته ⁷.

-الصوت اللغوي :

يعرف ابن جني الصوت اللغوي فيقول : «اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والقم والشفتين مقاطع تننيه عن امتداده ، واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً» ⁸ . أما إبراهيم أنيس فيعرف الصوت اللغوي فيقول « الصوت اللغوي هو ككل الأصوات ينشأ من ذبذبات مصدرها عند الإنسان الحنجرة ، فعند اندفاع النفس من الرئتين يمر بالحنجرة فيحدث تلك الاهتزازات التي بعد صدورها من الأنف تنتقل خلال الهواء الخارجي على شكل موجات حتى تصل إلى الأذن» ⁹.

- تعليمية الأصوات اللغوية:

لا غرابة أن تجد لكل علم من علوم الدنيا إطاراً تعليمياً يحوّله من الوضعية المجردة النظرية إلى الوضعية العملية التطبيقية ، فيأخذ هذا العلم طابعاً تربوياً ، يُراعى فيه السمات الخاصة بالعمل التربوي ، لذا يتطابق مفهوم تعليمية الأصوات اللغوية مع أي مفهوم من مفاهيم التعليمية أي كان موضوعها أو مجالها الذي تعالجه ، في حين نجد أن الاختلاف يكمن في طبيعة الأهداف والغايات المنشودة من الفعل التربوي التعليمي . فإذا كانت التعليمية بوجه عام كما يراها سميث هي : " فرع من فروع التربية ، موضوعها خلاصة المكونات والعلاقات بين الوضعيات التربوية وموضوعها ووسائلها ووسائلها ، وكل ذلك في إطار وضعية بيداغوجية ، وبعبارة أخرى يتعلق موضوعها بالتخطيط للوضعية البيداغوجية ، وكيفية مراقبتها وتعديلها عند الضرورة" ¹⁰ . إذاً من خلال هذا يمكن أن نقول أن تعليمية الأصوات اللغوية هي : مجموع المواقف والسلوكات المدعمة بالطرق والوسائل والأساليب التعليمية ، التي يستخدمها المعلم والمتعلم داخل الصف وخارجه ، من أجل إكساب المتعلم نواتج تعلم صوتية متمثلة في جميع القضايا والمباحث الصوتية ، التي يتعلمها المتعلم نظرياً ويطبقها عند الحاجة إلى ذلك في مواقف تعليمية معينة .

- أركان العملية التعليمية التعلمية عند ابن جني :

ضمن خانة تعليمية الأصوات اللغوية ، فعلى الرغم من اختلاط المباحث والقضايا الصوتية بالمباحث والقضايا الصرفية والنحوية والدلالية ، إلا أننا بعد تمعننا لكتائبي الخصائص

وسر الصناعة لابن جني فقد وجدناها تُعجُّ بالقضايا التي يمكننا اعتبارها من المسائل التي قد أسهمت إسهاماً كبيراً في تعليمية الأصوات اللغوية ، وهذه المسائل قد اختلطت في معظمها بين المباحث المساهمة في تعليمية الأصوات اللغوية وبين القضايا التعليمية الموجودة في ثنايا كُتب التراث العربي التي من ضمنها كتابا الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني ، وهذه التي سنفصل الحديث فيها في الجزئية الآتية من هذا العنصر . إذاً فابن جني قد طبق معاني التعليمية أو ما يسمى بالديداكتيك بكل ما في الكلمة من معنى ، فحين تقرأ كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب ستشعر بتوفر المثلث الديداكتيكي المتكون من المعلم والمتعلم والمحتوى التعليمي وكذلك ستشعر بظهور التعليمية في لباس جديد يحمل الأصالة تارة ثم الحداثة تارة أخرى ، كذلك حين قراءتك لكتابي ابن جني ستلاحظ فيهما توفر عناصر المنهج المتكونة من الأهداف التعليمية والمحتوى التعليمي والأساليب التعليمية والوسائل التعليمية وأساليب التقويم كذلك.

أولاً: المعلم والمتعلم

إن لحضور الثنائي الديداكتيكي المعلم والمتعلم ملامح واضحة وجليّة تبدو من خلال بعض المحطات في كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني من هذا بعض العبارات والشواهد الآتية:

فبواسطة طريقة الحوار بين المعلم والمتعلم أو بين الأستاذ وطالبه يسرد ابن جني معلوماته تارة بقوله عبارة " اعلم أن كذا وكذا...." وبطريقة الأسئلة والأجوبة تارة أخرى ، من ذلك قوله في علة الإدغام : « اعلم أن هذه المواضع التي ضممتها ، وعقدت العلة على مجموعها ، قد أرادها أصحابها وعنونها »¹¹ ، وقوله أيضاً في موضع آخر : « اعلم أن الحركة التي يتحملها الحرف لا تخلو أن تكون في المرتبة قبله ، أو معه أو بعده »¹².

فاستخدام ابن جني للفظ "اعلم أن" هو أسلوب مشوق ولافت للانتباه يشرح به معظم قضايا ومسائله وهو دليل على أن ابن جني من خلال استخدامه لهذه العبارة ؛ يُخاطب مجموعة من الناس فيؤدي هنا دور المعلم أمام الجماعة التي يُخاطبها فقد مثلت المتعلم والمرسل والمرسل إليه قد طبقهما ابن جني حين استخدامه للفظ " اعلم أن".

وقوله : « فان قلت : ومن أين يعلم أن العرب قد راعت هذا الأمر واستشفته وعنيت بأحواله وتبعته ، حتى تحامت هذه المواضع التحامى الذي نسبته إليها ، وزعمته مراداً لها ؟ قيل له »¹³.

وقوله : « فان قيل : فلم اقتصروا على إعادة العين وحدها ، دون سائر حروف الكلمة ؟ قيل... »¹⁴

وقوله : « فان قلت : فما بالك تقول : سَوُطٌ وَحَوْضٌ وَثَوْبٌ ...فتصبح الواو والياء وهما ساكنتان وقبلهما حركة تخالفهما ؟ وهلا قلبتهما ألفاً لافتح ما قبلهما كما تقلب الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها في نحو ميزان وميقات ...فالجواب في ذلك أن بين الياء وبين الواو قرباً ونسباً ليس بينهما وبين الألف... »¹⁵.

كذلك هو الحال عندما استخدم ابن جني لغة الحوار بينه وبين المتعلم والمتمثل في المرسل إليه في الرسالة التواصلية قد مثل المعلم بكل ما في الكلمة من معنى ، فبغض النظر عن مراد ابن جني من خلال هذا النص يتضح في هذا المقام من الدراسة التي نتحدث فيها عن حضور المعلم والمتعلم أن ابن جني قد تعرض لشرح محتوياته التعليمية بأسلوب مشوق ولافتٍ للانتباه متمثل في لغة الحوار وباستخدام عبارة المقابلة المتمثلة في قوله تارة "فان قلت كذا...فالجواب في ذلك كذا ..." وتارة أخرى يستخدم "فان قلت كذا...قيل كذا.." ثم يستخدم "فان قيل كذا...قيل كذا..."

ثانياً : المحتوى التعليمي

إن للمحتوى التعليمي ملامح قوية وإرهاصات واضحة ظهرت من خلال ما يأتي :

- المصطلحات:

تشكل المصطلحات المفاتيح الأساسية للعلوم لذا تعتبر نقطة العبور لفهم أي مجال من المجالات التعليمية أي كان نوعها وتوجهها ، وعلى حد ذكرنا لأهمية المصطلحات في فهم العلوم وسهولة استيعابها ، كذلك فقد كانت لها الأهمية البالغة في تفسير الكثير من القضايا الصوتية في كتب التراث العربي عامة ثم في كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني بصفة خاصة . فالمتمعن لهذين المؤلفين يجدهما يعجان بالمصطلحات التي تشكل في مجملها محتوى تعليمي يمكن للدارس والمهتم بمجال علم الأصوات الاستفادة منه في فهم المباحث الصوتية وتعليل قضاياها ومن هذه المصطلحات ما يأتي:

مصطلح الصوت والصوت اللغوي ، مصطلح المخرج والمدرج والمبدأ والحيز ، مصطلح مخارج الأصوات وصفاتها ، مصطلح الجهر والهمس ، مصطلح الشدة والرخاوة ، والمتوسطة والاستطالة والتفشي والصفير والقلقلة والتكرير والانحراف والإطباق والافتتاح والاستعلاء ومصطلح الإدغام والإبدال والإعلال مصطلح التردد والاهتزاز ، والأوتار الصوتية ومصطلح

أقصى الحلق ووسط الحلق وأدنى الحلق وأقصى اللسان وما فوق الحنك الأعلى ووسط اللسان وأول حافة اللسان وطرف اللسان وأصول الثنايا وباطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا والخياشيم ... إلى غير ذلك من المصطلحات التي تشكل في مجملها معجماً يخص مجال علم الأصوات.

- الحد والتعريف:

يعتبر تعريف المصطلحات من الأشياء المهمة التي بها نتعرف على حد هذه المصطلحات ومجالاتها وقد عرف علماء التراث عدة مصطلحات في مؤلفاتهم تخص المجال الصوتي منها:

أ- حد اللغة : أصوات يعبر بها كل أقوام عن أغراضهم¹⁶.

ب- المدرج : ومصطلح المدرج هو الآخر مصطلح قد لقي رواجاً كبيراً في كتب التراث ، إذ ذكره العلماء القدماء كثيراً حين حديثهم عن مخارج الأصوات.

ت-آلية إصدار الصوت اللغوي : يقول ابن جني في آلية إصدار الصوت اللغوي : « اعلم أن الصوت عرض يخرج مع النفس مستطيلاً متصلاً ، حتى يعرض له في الحلق والفم والشفيتين مقاطع تثنيه عن امتداده ، واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً »¹⁷.

ث-مخارج الأصوات : حيث يقول : « واعلم أن مخارج هذه الحروف ستة عشر ، ثلاثة منها في الحلق ، فأولها من أسفله وأقصاها مخرج الهمزة والألف والهاء [...] ومما فوق ذلك من أقصى اللسان مخرج القاف فذلك ستة عشر مخرجاً »¹⁸.

ج-ثم يذكر ابن جني صفات الأصوات فيقول في الصوت المهموس : « اعلم أن للحروف في اختلاف أجناسها انقسامات نحن نذكرها : فمن ذلك انقسامها في الجهر والهمس وهي على ضربين : مجهور ومهموس فالهموسة عشرة أحرف وهي الهاء والحاء والخاء والكاف والشين والصاد والتاء والسين والثاء والفاء »¹⁹.

ح-أما الصوت المجهور : « فحرف أشبع الاعتماد في موضعه ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد ويجري الصوت غير أن الميم والنون من جملة المجهورة وقد يعتمد لهما في الفم والخياشيم فتصير فيهما غنة فهذه صفة المجهور »²⁰.

خ-الإعلال والإبدال ظاهرتان صوتيتان مهمتان وقد تحدث عنهما العلماء القدماء كثيراً في كتب التراث في أكثر من موضع ، أما ابن جني في كتابه الخصائص فقد ذكره في الباب (106) المُعنون بالعنوان "باب أضعف المعتلين"²¹.

وفي "باب هجوم الحركات على الحركات"²² فقد تحدث هو الآخر عن موضوعي الإعلال والإبدال الصوتيين.

والتعاريف في الحقيقة هي كثيرة ومتنوعة جداً في كتب التراث ، حيث إن العلماء لم يغادروا صغيرة ولا كبيرة إلا وجعلوا لها حداً وتعريفاً وقد أدرجنا هذه المحطات من مؤلفات علماء السلف من أجل توضيح فكرة أن العلماء قد اهتموا كثيراً بإعطاء معاني المصطلحات ، لا من أجل الحصر .

- التدرج :

يقول ابن خلدون : « اعلم أن تلقين العلوم للمتعلمين إنما يكون مفيداً إذا كان على التدرج »²³ . فمن خلال هذه المقولة المشهورة لابن خلدون تتضح لدينا الأهمية البالغة لأسلوب التدرج في عرض المادة التعليمية على المتعلم لذا فابن جني في عرض محتواه التعليمي قد استخدم أسلوب التدرج أحياناً من السهل إلى الصعب أحياناً ومن الجزء إلى الكل أحياناً أخرى ومن البسيط إلى المركب لتوضيح أفكاره وهذا عن وعي بأهمية أسلوب التدرج في عرض المحتوى التعليمي على المتعلم . فكان ابن جني يبدأ بالتفريق بين الصوت والحرف لينتقل إلى مفهوم الصوت على حدة ثم التفصيل في عدد حروف اللغة العربية ثم مخارج الأصوات ثم صفاتها ثم أنواعها إلى غير ذلك من المسائل والمباحث والقضايا الصوتية الكثيرة جداً فقد ذكرنا منها البعض من أجل التوضيح لا الحصر .

ففي كتاب الخصائص مثلاً نجد أن ابن جني قد اعتمد فيه أسلوب التدرج في تقديم المادة التعليمية عرضها من السهل إلى الصعب في أبوابه ، والتي منها :²⁴

- باب القول في الفصل بين الكلام والقول.
- باب القول على اللغة وما هي .
- باب القول على النحو .
- باب القول على الإعراب .

و ما لاحظناه في طريقة تسلسل الأبواب التي ذكرها ابن جني والمواضيع التي تحتها أنها تسير وفق أسلوب التدرج كذلك و منها²⁵:

- باب في حفظ المراتب.
- باب في التغييرين يعترضان في المثال الواحد بأيهما يبدأ.
- باب في العدول عن الثقيل الى ما هو أثقل منه لضرب من الاستخفاف.

- الإيجاز والاختصار :

إن أسلوب الاختصار أسلوب مهم جداً في التعليمية بشكل عام ثم في تعليمية الأصوات اللغوية بشكل خاص ، وقد رأينا أن العلماء العرب اعتمدوا أسلوب الاختصار في تعليمية القضايا والمباحث الصوتية لما لهذا الأسلوب من دور في تسهيل حفظ المعلومات والمعارف وكذلك استرجاعها عند الحاجة إليها ، وابن جني هو الآخر قد اعتمد على أسلوب الاختصار في محتواه التعليمي ، من ذلك ما يأتي²⁶:

- تعليمية صفات الأصوات : ومن هذا ما يأتي :
- الأصوات المهموسة : وقد اختصرها ابن جني في اللفظ (سَتَشْجُثْكَ خَصَفَه).
- الأصوات الشديدة : وقد اختصرها ابن جني في اللفظ (أَجَدْتُ طَبَقَكَ) و (أَجَدَكَ طَبَقْتَ).
- الأصوات التي بين الشديدة والرخوة : وقد جمعها ابن جني في اللفظ (لَمْ يَرَوْعْنَا) وان شأت قلت (لَمْ يَرَوْعْنَا) وان شأت قلت (لَمْ يَرَوْعْنَا) .

ثالثاً : الأساليب التعليمية

لقد كان لأساليب التعليم التي استخدمها ابن جني في كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب حضور قوي فقد بدا ذلك من خلال الملامح الآتية :

- التمهيد والتقديم :

يعتبر التمهيد خطوة مهمة جداً قد التجأ إليها علماء السلف كثيراً في مؤلفاتهم ، فكانت واضحة ولها ملامح جلية قد استخدمها هؤلاء قبل الولوج لشرح الموضوع المراد تبسيطه فبدا هذا عند تصفح كُتُب ابن جني كذلك في أكثر من محطة وقد كان اختيارنا للتمهيدات

التالية لتوضيح الفكرة : يقول ابن جني : « وقد ثبت بما قدمنا الصوت من الحرف ، وكشفنا عنهما بما هو متجاوز للإقناع في بابهما ووضحت حقيقتيهما لمتأملها »²⁷.

هذه الجزئية التي ذكرناها سابقاً في كتاب سر صناعة الإعراب لابن جني تعدّ مقدمة قد اعتمدها ابن جني لكي ينتقل إلى التفريق بين مفهوم الصوت والحرف.

يقول ابن جني في موضع آخر : « اعلم أن أصول حروف المعجم عند الكافة تسعة وعشرون حرفاً ، فأولها الألف وآخرها الياء »²⁸ ، وهنا قبل تفصيله في الحديث عن حروف المعجم كما سبق قوله في النص السابق سيبدأ الكلام بجزئية ولو كانت صغيرة ، لكنها تعدّ تمهيداً يُعين الطالب على معرفة الموضوع الذي هو بصدد قراءته أو التطرق له ، أما قبل تفصيله في الحديث عن موضوع حروف المد واللين فيقول ابن جني : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، فكذلك الحركات ثلاث. وهي الفتحة والكسرة والضمة »²⁹.

- التمثيل:

كان علماء التراث العربي يمثلون لأي قضية من القضايا التي يتحدثون عنها ، إذ لم تقتهم الفرصة في أي موضع من مواضع الكتاب بالتمثيل لكل جزئية من الجزئيات التي تعرضوا لها ومن هذا ما يلي : يقول ابن جني في الإشباع : « وليس هذا الباب إشباع الحركات في نحو: منتزاح ، وانظور ، والمطافيل »³⁰.

وهنا التمثيل واضحٌ وضوح الشمس حيث إن اللفظ "نحو" يعني "مثل" ، فأسلوب التمثيل للإشباع واضح في كلام ابن جني وقد استخدمه علماء التراث العربي في مؤلفاتهم كثيراً وفي أكثر من موضع وفي أي مسألة صوتية كانت أو نحوية أو صرفية أو دلالية يريدون شرحها وتبسيطها.

يقول في أصوات العلة : « ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن توأم كوامل قد تجدهن في بعض الأحيان أطول وأتم منهن في بعض ، وذلك قولك : يخاف ويناوم ويسير ويطير ويقوم ويسوم . فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما ، فإذا وقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً وذلك نحو يشاء .. وتقول مع الإدغام شابة ودابة »³¹.

استخدم ابن جني في موضع آخر في حديثه عن أقسام أصوات العلة التي هي قصيرة وطويلة وأطول أسلوباً آخر وهو أسلوب مشوق للتمثيل وهو عوض استخدام اللفظ "نحو" أو

"مثل" أو "ك" قد استخدم لفظ " وذلك قولك " ... ثم نجده ينوع أسلوب استخدام عبارات التمثيل وهذا لكي لا يشعر الطالب بالملل أثناء القراءة حيث سيكون النص أكثر تشويقاً.

ويقول في أنواع الحركات : « وقد كان متقدمو النحويين يسمون الفتحة الألف الصغيرة والكسرة الياء الصغيرة ، والضمة الواو الصغيرة . وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة ؛ ألا ترى أن الألف والياء والواو اللواتي هن حروف توام كوامل ، قد تجدهن في بعض الأحوال أطول وأتمّ منهن في بعض ، وذلك قولك : يخاف وينام ، ويسير ويطير ، ويقوم ويسوم ، فتجد فيهن امتداداً واستطالة ما³² . وهنا ابن جني قد استخدم لفظ " وذلك قولك " وهذا لتقديم التمثيل .

- الاستشهاد :

إن عنصر الاستشهاد عنصر مهم جداً في العملية التعليمية التعليمية فقد كانت له ملامح واضحة وجليّة في كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني فهذا الأخير قد استشهد لقضايه تارة بالقرآن ثم بالشعر تارة أخرى :

- القرآن : يقول ابن جني عند تعريفه للصوت : « فأما القول على لفظهما ، فإن الصوت مصدر صات الشيء يصت صوتاً ، فهو صائت ... »³³ فيستشهد لهذا بالنص القرآني : ﴿ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴾ ، ويقول في موضع آخر : « أعلم أن الألف التي في أول حروف المعجم هي صورة الهمزة في الحقيقة ، وإنما كتبت الهمزة واواً مرة وياء أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف ، ولو أريد تحقيقها البتة لوجب أن تكتب ألفاً على كل حال . يدل على صحة ذلك أنك إذا أوقعتها موقعاً لا يمكن فيه تخفيفها ، ولا تكون فيه إلا محققة ، لم يجز أن تكتب إلا ألفاً مفتوحة كانت أو مضمومة أو مكسورة ، وذلك إذا وقعت أولاً نحو : أَخَذَ وَأَخَذَ وإبراهيم فلما وقعت موقعاً لا بد فيه من تحقيقها اجتمع على كتابتها ألفاً البتة . وعلى هذا وجدت في بعض المصاحف ﴿ يستهزئون ﴾ بالألف قبل الواو ووجد فيها أيضاً ﴿ وإن من شيئاً إلا يسبح بحمده ﴾³⁴ .

وكذلك قول ابن جني في موضع آخر : « وكذلك قوله عز وجل : ﴿ فتوبوا إلى بارئكم ﴾ مختلساً غير ممكن كسر الهمزة »³⁵ .

- الشعر : في نفس المقام من الاستشهاد يستشهد لمفهوم الصوت لكن هذه المرة بالشعر فيقول :³⁶

قال الشاعر : كَأَنَّمَا أَصْوَاتُهَا فِي الْوَادِي ***** أَصْوَاتُ حَجٍّ مَنْ كَانَ غَادِي .

وقال " ذو الرمة " ، وهو من أبيات الكتاب:

كَأَنَّ أَصْوَاتَ ، مِنْ إِيغَالِيَهْنَ بِنَا *****
أَوَاخِرُ المَيْسِ ، أَصَوَاتُ الْفَرَارِيحِ .

ثم يضيف : والصوت مذكر ، لأنه مصدر بمنزلة الضرب والقتل والغدر والفقر . فأما قول
رويشد بن كثير الطائي :³⁷

يَا أَيُّهَا الرَّكِبُ الْمَرْجِي مَطِيَّتُهُ *****
سَأُئِلُّ بَنِي أَسَدٍ مَا هَذِهِ الصَّوْتُ

ويقول في مناسبة أخرى : وأبلغ من هذا في المعنى ما رواه من قول الراجز :³⁸

مَتَى أَنَا مُ لَا يُؤَرِّقُنِي الْكِرْمَى *****
لَيْلًا وَلَا أَسْمَعُ أَجْرَاسَ الْمَطَى

- **التعليل والتفسير:** لقد استخدم علماء السلف العديد من التبريرات لتعليل قضاياهم الصوتية منها ما ذكره ابن جني في خصائصه حين حديثه عن إشباع الحركات في النص: « وليس من هذا الباب إشباع الحركات في نحو منزاح ، وأنظور ، والمطافيل ؛ لأن الحركة في نحو هذا لم تحذف وأُنِيبَ الحرف عنها ؛ بل هي موجودة مزيده فيها ، لا منتقص منها »³⁹.

ويقول في سر صناعة الإعراب : « والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة : الألف ثم الياء ثم الواو . وأوسعها وألينها الألف ، إلا أن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو . والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو ، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق في ثلاثة الأحوال مختلف الأشكال أما الألف فتجد الحلق والفم معها منفتحين .. وأما الياء فتجد الأضراس معها سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته .. وأما الواو فتضم لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس »⁴⁰ . وأسلوب التعليل هنا كان واضحاً من طرف ابن جني حين استخدامه للفظ " والعلة في ذلك " .

ويقول أيضاً في أطوال أصوات العلة : « اعلم أن الحركات أبعاض حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو ، [...] فتجد فيهن امتدادا واستطالة ما ، فإذا أوقعت بعدهن الهزة أو الحف المدغم ازدددن طولا وامتدادا وذلك نحو يشاء »⁴¹.

ويقول في موضع آخر : « إن الألف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة ، والواو ضمة مشبعة . يؤكد ذلك عندك أيضاً أن العرب ربما احتاجت في إقامة الوزن إلى حرف مجتلب ليس من لفظ البيت ، فتشبع الفتحة ، فيتولد من بعدها الألف »⁴² . هنا في هذا النص الذي يتحدث

فيه ابن جني عن حقيقة أن الألف فتحة مشبعة ، والياء كسرة مشبعة والواو ضمة مشبعة قد علل ابن جني كلامه بلفظ صريح وهو استخدام جملة " يؤكد ذلك عندك. " .

ويعلل ابن جني أن الحركات أبعاد لحروف المد واللين فيقول : « ويدلك على أن الحركات أبعاد لهذه الحروف ، أنك متى أشبعت واحدة منهن حدث الحرف الذي هي بعضه »⁴³.

- النقد : بطريقة ذكية يشرح ابن جني مسائله وقضاياه الصوتية بأسلوب النقد ليضيف الى العملية التعليمية التعلمية نوعاً من المتعة والتشويق في أكثر من موضع وذلك نحو قوله : فان قلت فما بالك تقول الغير والعيبة والطول ، والعوض ، فتأتي بالياء بعد الضمة وبالواو بعد الكسرة ؟ فالجواب : أنه إنما جاز ذلك من قبل أن الياء والواو لما تحركتا قويتا بالحركة⁴⁴.

ثم يضيف فإن قلت : فما بالك تقول : سَوُطٌ وَحَوْضٌ وَتَوْبٌ وَبَيْتٌ وَقَيْدٌ وَشَيْخٌ ، فتصبح الواو والياء وهما ساكنتان وقبلهما حركة تخالفهما ؟ وهلا قلبتهما ألفاً لانفتاح ما قبلهما ، كما تقلب الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها في نحو : ميزان وميقات وميلاد والياء واواً لسكونها وانضمام ما قبلها في نحو الكؤوسى والطوبى ؟ فالجواب في ذلك : أن بين الياء وبين الواو قرباً ونسباً ليس بينهما وبين الألف⁴⁵.

بأسلوب النقد الذي ذكرناه سنجد عند ابن جني إلماحاً وتصريحات مرتبطة بحضور المثلث الديدكاتيكي بصورة تتناسب والنقد المطبق في التعليمية الحديثة .

- الشرح والترتيب والتفصيل :

يستخدم علماء السلف في مؤلفاتهم الكثير من أساليب الشرح بطريقة وافية من الترتيب والتفصيل وهذا من أجل تبسيط المعارف والمعلومات المراد شرحها ، يقول ابن جني في سر صناعة الإعراب : « اعلم أن الحركات أبعاد حروف المد واللين ، وهي الألف والياء والواو ، فكما أن هذه الحروف ثلاثة ، كذلك الحركات ثلاث ، وهي الفتحة والكسرة والضمة ، فالفتحة بعض الألف ، والكسرة بعض الياء ، والضمة بعض الواو »⁴⁶ ، في هذا المقطع من كلام ابن جني نلاحظ أن فيه شرحاً وترتيباً وكذلك تفصيل لأنواع الحركات.

- طريقة العرض : استناداً الى ما سبق ذكره من جميع القضايا التعليمية التي أشرنا إليها سابقاً في كتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني ، فإن هذا الأخير قد اعتمد على طريقة أكاديمية في عرض المحتوى التعليمي تحكمها أسس وميكانيزمات مُعتمد عليها في جل المؤسسات التعليمية وهي : الاستشهاد ، التحليل والشرح ، التوثيق ، التدرج ، التقديم

، التعليل، الإيجاز والاختصار اللحن ، النقد ، ورياضة الألسن... الخ من طرق وأساليب العرض التي تُستخدم في العملية التعليمية التعلمية .

رابعاً: الوسائل التعليمية

استناداً لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف " صلوا كما رأيتموني أصلي " وكذلك قصة قابيل وهايل حيث كان الغراب هنا وسيلة تعليمية يتعلم منها قابيل كيفية دفن أخيه هايل وأمثلة كثيرة تحدث عنها العلماء تبين تاريخ استخدام الوسائل التعليمية في الفكر الإسلامي ، يتضح أن استخدام الوسائل التعليمية قد كان منذ أن خلق الله سبحانه وتعالى البشرية .

فمن خلال تصفحنا لكتابي الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني فقد وجدنا صاحبهما قد استخدم بعض الوسائل التعليمية المتمثلة في الاستعانة ببعض المؤلفات والكتب كذلك اعتماد ابن جني على التدوين والدليل على ذلك بعض الملامح الآتية:

- قول ابن جني في باب مطل الحركات : «وحدثنا أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى : من حيث وليس ، قال وهو إشباع ليس. وذهب إلى مثل ذلك في قولهم آمين ، وقال هو إشباع فتحة الهززة من آمين»⁴⁷.

يتضح من خلال هذا النص الذي يتحدث فيه ابن جني على مطل الحركات أن ابن جني قد استخدم وسيلة تعليمية معروفة وهي استخدام القلم للتدوين والدليل على ذلك بعض الملامح التي تؤكد ذلك ، فحتى لو لم يكن استخدام الوسائل التعليمية عند ابن جني قد أشار إليه مباشرة وبعبارات صريحة إلا أن له إرهافات من ذلك قوله : حدثنا أبو علي أن أحمد بن يحيى حكى .

وقد اعتمد ابن جني كذلك في جمع المعارف ومناقشتها وشرحها والاستشهاد لها على كتاب سيبويه والملمح على ذلك قوله في باب فك الصيغ : « ومنه قول الله سبحانه : ﴿ حتى أبلغ أشده ﴾ وهو عند سيبويه تكسير شدة على حذو زائدته»⁴⁸.

وقوله أيضاً : « ومن فك الصيغة — إلا أن ذلك إلى الزيادة لا إلى النقص- ما حكاه الفراء من قولهم أتون : أتاتين »⁴⁹ ، ومن هذا النص الذي بيننا يتضح أن ابن جني قد أخذ على الفراء كذلك بعض القضايا والمباحث الصوتية.

خاتمة : من خلال النتائج المحصل عليها في هذه الدراسة اتضح جليا ان كتب التراث العربي بما فيها كتابا الخصائص وسر صناعة الإعراب لابن جني تعدّ محتويات تعليمية تزخر بالقضايا والمسائل الصوتية. إن التمعن في الكتاتين المدروسين يرشدنا الى ظهور مصطلح التعليمية بحلة جديدة فابن جني قد طبق التعليمية بكل ما في الكلمة من معنى لأننا إذا أخذنا الخصائص وسر صناعة الإعراب ستلاحظ فيها توفر المثلث اليداكتيكي المتكون من المعلم والمتعلم والمحتوى التعليمي وسنلاحظ ملامح توفر عناصر المنهج والمتمثلة في الأهداف التعليمية و الوسائل التعليمية والأساليب التعليمية...الخ من عناصر المنهج .

-الهوامش والإحالات:

- 1- لسان العرب ، ابن منظور ، دار صادر بيروت ، مادة (لمح).
- 2 - نفسه ، مادة علم.
- 3 - ينظر، استثمار تعليمية اللغات في تدريس البلاغة العربية، رضا جوامع، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة باتنة، ع 4، جوان 2006م ، ص 27 ، ودراسات في اللسانيات التطبيقية ، أحمد حساني ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، (د.ط.)، 2000م، ص130.
- 4- نظريات التعلم، عبد المجيد عيساني ، دار الكتاب الحديث ، القاهرة ، ط 1، 2011م ، ص11.
- 5 - التدريس العلمي والفني الشفاف بمقاربة الكفاءات والأهداف ، خالد لبصيص ، دار التنوير ، الجزائر ، 2004 ، ص131.
- 6- تحليل العملية التعليمية، محمد الدريج ، قصر الكتاب ، البليدة ، 2000م ، ص3.
- 7- التعليمية موضوعها ، ومفاهيمها والآفاق التي تفتحها ، إبراهيم حمروش ، المجلة الجزائرية للتربية ، العدد 2 ، 1995م ، ص 62.
- 8- سر صناعة الإعراب، ابن جني ، تح : حسن هنداي ، دار القلم ، دمشق ، ج 1 ، ص 6.
- 9- الأصوات اللغوية ، إبراهيم أنيس ، مكتبة نهضة مصر (د.ط.)، (د.ت)، ص 7.
- 10- التعليمية العامة وعلم النفس ، وزارة التربية الوطنية ، الإرسال الأول ، الجزائر ، ص 2.
- 11- الخصائص ، ابن جني ، ج 1، (تح) محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية، ص 162.
- 12- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ج 1 ، ص 18-19.
- 13- الخصائص، ابن جني، ج 1، ص 72-73 .
- 14- سر صناعة الإعراب ، ابن جني ، ج 1، ص 83-84.
- 15- سر صناعة الإعراب ، ابن جني، ج 1، ص 20.
- 16- الخصائص ، ابن جني ، ج 1، ص 33.
- 17- الخصائص ، ابن جني، ج 1، ص 41.
- 18- سر صناعة الإعراب ، ابن جني، ج 1، ص 46-48.
- 19- سر صناعة الإعراب ، ابن جني، ج 1، ص 60.
- 20- سر صناعة الإعراب ، ابن جني، ج 1، ص 60 .
- 21- الخصائص، ابن جني، ج 2، ص 484-487.

- 22- الخصائص، ابن جني، ج3، ص 136-142.
- 23- المقدمة، ابن خلدون، اعتنى بها مصطفى شيخ مصطفى، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا ط1، 2005م، ص 597.
- 24- الخصائص، ابن جني، ج1، ص 401-411.
- 25- الخصائص، ابن جني، ج3، ص 343-354.
- 26- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 60-61.
- 27- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 9.
- 28- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 41.
- 29- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 17.
- 30- الخصائص، ابن جني، ج3، ص 136.
- 31- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 17-18.
- 32- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 17-18.
- 33- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 9-10.
- 34- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 41-42.
- 35- الخصائص ابن جني، ج1، ص 72-73.
- 36- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 10.
- 37- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 11.
- 38- الخصائص، ابن جني، ج1، ص 73.
- 39- الخصائص، ابن جني، ج1، ص 136-142.
- 40- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 8-9.
- 41- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 17.
- 42- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 28.
- 43- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 18.
- 44- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 19-20.
- 45- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 20.
- 46- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ج1، ص 17.
- 47- الخصائص، ابن جني، ج3، ص 123.
- 48- الخصائص، ابن جني، ج3، ص 118.
- 49- الخصائص، ابن جني، ج3، ص 119.